إعداد: مبارك عبدالله

عندما يبكي الرجال

بقلم: أمية جحا

أمسكَ بيدي بقوة وسالت دمعة على خده - وكنت طوال عهدي بزوجي الذي قارب أربع سنوات لم أره يذرف دمعة واحدة إلا مرتين، الأولى عندما استشهد أخوه الصغير محمد قبل عام ونصف تقريباً.. والثانية عندما أخذ يسرد لي أسماء من استشهد من رفاقه في الحرب على غزة، وأسماء من سبقوه من رفاق قبل الحرب - وقال: لقد اشتقت للرباط يا أميّة وفي الصفوف الأمامية كما كنت دوماً..

قلت له: لا شك ستعود قريباً يا حبيبي.. وتقاتل الأعداء بسلاحك.. وستلقى الله شهيداً بعد عمر طويل وحُسن عمل بإذن الله.. فأنا ما ارتضيت إلا أن أتزوج برجل مجاهد في سبيل الله.

قال بصوت ضعيف: ماذا سترسمين غداً؟

قلت: الأخبار تتحدث عن عودة جولات الحوار والمصالحة الوطنية في القاهرة.

صمت.. وشد على يدي.. وأغمض عينيه ونام.

دقائق معدودة وفتح ممرض باب الغرفة وقال: موعد الإبرة.

فتح وائل عينيه.. ورسم ابتسامة على شفتيه وقال للممرض: ألا يوجد إبرة بطعم الدجاج.

ضحك الممرض وقال وهو يمسح موضع الإبرة: إن شاء الله تُشفى قريباً وتعود لتأكل كل أصناف الطعام.

غادر الممرض الغرفة وأقفل الباب.

قال وائل: ماذا حدث بموضوع السفر للعلاج في الخارج؟

قلت: الإجراءات من الجانب الفلسطيني تمّت.. ولم يبق سوى معبر رفح.



ضحك متوجعاً: أليس هو المعبر ذاته، الذي أقفل في وجهنا قبل عام ونصف، وأبقانا عالقين في مصر حوالي تسعة أشهر؟!

ضحكتُ بمرارة وقلت: بلى.. هو ذاته.

ثم قال بحزن: رسمتِ كثيراً عن معبر رفح، ومعاناة المرضى والمحاصرين والعالقين.. ولم يدر بخلدك يوماً أن ينضم زوجك إلى قافلة المرضى الذين ينتظرون فتح المعبر؟!

قلت: الحمد لله رب العالمين في السراء والضراء.. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

صمت من جديد.. وأخذ يتحسس مكان الجرح الغائر في بطنه.. ثم قال: ليتها كانت رصاصة صوبها نحوي صهيوني وأنا أقاتل.

ثم أغمض عينيه.. ولكن ليس لينام هذه المرة..!

بل كان يجاهد؛ ليمنع الدموع أن تسيل.

كنت أرى عراك جفنيه وارتعاش أهدابه، بينما لم يقو جفناي أن يصدا سيل الدموع الجارف.

كنت أبكي بصمت.. وأنتحب بلا صوت.

قال ولا يزال مغمض العينين: كلها ابتلاءات من الله يا أمية.. وعسانا نكون من الصابرين والمأجورين.

ثم أمسك بيدي وشد عليها بقوة، ثم نام.

كان متعباً جداً.. وكنت حريصة أن يحظى بقسط من النوم والراحة.. وكنت أوقن أن قُبلتي التي طبعتها على جبينه عندما هممت بالخروج من المشفى لن توقظه.

آثرت أن أمشي.

شوارع عدة مررت بها.. كانت خطواتي سريعة بسرعة دقات قلبي الموجوع لحال زوجي.

كنت أبكي بحرقة، وكادت الدموع تخفي عني معالم الطريق..

لم يكن يهمني من أنا ومن أكون..

ولم يكن يهمني إن كانت عيون المارة ترمقني.

كل ما كان يهمني ولا يزال.. أني زوجة.. لا تريد أن تفقد زوجها بسبب الحصار.

أليس فتح الطرق والمعابر.. وإنهاء الحصار.. وإعادة حقنا في العيش بحرية وكرامة.. وحقنا في السفر والتنقل.. وحقنا في العلاج.. وحقنا في التعليم.. أَوْلى من فتح الطرق والمعابر لجولات حوار.. ثبت أنها لا تشفي من سقم ولا تسمن من جوع!!■

السعادة بنظر الأقوياء



يقول «جان زيغلر» في كتابه القيّم «سادة العالم الجدد»: «الليبرالية الجديدة تستخدم كلمة «حرية».. حرية كاملة لكل فرد، مساواة في الفرص، وإمكانات مفتوحة لسعادة الجميع..»، ثم يقول: «كلُّ هذا هراء، إنَّ السعادة بنظر الأقوياء.. تكمن بالاستمتاع الفردي بالثروة المكتسبة عن طريق سحق الآخر» (ص٥٤).

ثم يضرب مثالاً في بلاده سويسرا فيقول: «نجد اللاَّمساواة الصارخة هي القاعدة، حيث ٣ ٪ من دافعي الضرائب يملكون ثروة شخصية تساوي مجموع ما يملكه الـ٩٧٪ الباقون.. وعام ٢٠٠٢م استأثر ٢٠٪ بالمائة من سكان العالم بما يزيد على ٨٠٪ من ثرواته، ويمتلكون أكثر من ٨٠٪ من السيارات، ويستهلكون ٦٠٪ من الطاقة، أما الباقون وهم ٥ مليارات من الرجال، والنساء، والأطفال، فيتقاسمون ١٪ فقط من الدخل القومي، وبين عام ١٩٩٢ وعام ٢٠٠٢م – أي حقبة هيمنة الفكرة الليبرالية على العالم – لا يزيد متوسط العمر في أفريقيا كلها على ٤٧ سنة، بينما هو في فرنسا ٧٤ سنة، وفي العالم الثالث ينتشر الفقر بسرعة مذهلة، ففي عقد واحد من السنين زاد عدد المعدَمين من الفقراء ١٠٠ مليون» (ص٥٦).

وقد اعترفت الليبرالية أخيراً أنها السبب فيما أصاب العالم من انهيار اقتصادي، كان مردُّه إلى الجشع الذي هو نتاج عقيدتها المادية النفعية الخبيثة، فكانت آثار هذا الانهيار مدمّرة على البشرية.■

حامد العلي

واحة الشعر

وقفة على الأطلال

شعر: سعد خضر

بعد توقف القصف الصهيوني الجبانُ للمدن في غزة، ها هو طفلٌ فلسطينيٌّ يقف على أطلال داره حائراً متسائلاً:

هاهنا كان بيتُنا ... مُترعاً - كان - بالهنا
لم يعد في مكانهِ ... أين بيتي؟ ومن أنا؟
أين أمّي وإخوتي ... وأبي؟ أين أهلُنا؟
أين جاري وبيته؟ ... هل قضى بعدُ جارُنا؟
مسجدُ الحيِّ لم يعدْ ... مُسعداً قلب من رنا
بات كوماً من الثرى ... يصفُ الجُرمَ والخنا
لم يعدْ منْ هلالهِ ... يشرقُ النورُ والسَّنا
لم يعدْ يدعو للهُدى ... صادحاً أو مؤذنا
أين مبنى مدرستي؟ ... أين مُستشفياتنا؟
أين دورٌ كثيرةٌ ... قد حوتْ ذكرياتنا؟
أين دوحٌ وروضةٌ ... وشجيراتُ حقلنا؟
أين مهدي ودُميتي ... ومصابيحُ بيتنا؟
سرق القردُ فرحتي ... وعصافيرُ روضنا
ولو استطاع القردُ أن ... يطفئَ الشمس ما انثنى
ولو استطاع حيلةً ... طمس البدر والسنا
إنهم أمّةُ الأذى ... صدّروا الحقد للدُّنا
فعلوا كلَّ فعلةٍ ... تجعلُ الحرَّ مثخنا
مثخن القلب والنُّهى ... مثخن النفس مشجنا
لكن المؤمن الذي ... ربّه الله ذو الغنى
رابطُ الجأش ثابتٌ ... مثلما الطود ما انحنى
راسخٌ في مكانهِ ... هازئُ العزم بالفنا
واثقٌ في إلههِ ... واهب النصر والجنى
آملٌ في شهادةٍ ... دأبُهُ الجدُّ لا الونى
إنها خطوةٌ على ... درب نصر لدينا
إنها خطوةٌ على ... درب تحرير قدسنا
لن تراني هذي الدُّنا ... للأعادي مدجّنا
بل هزبراً مجاهداً ... أصنعُ المجد بالقنا